وزارة التعليم العالي والبحث والعلمي
الجامعة المستنصرية
كلية الآداب

الترقيم الدولي (ISSU) ١٩٩٢-١١٣٦

مجلة الفلسفة

مجلة علمية محكمة تصدر عن قسم الفلسفة/كلية الآداب

العدد السابع عشر
آيار/٢٠١٨

العدد السابع عشر
٢٠١٨

مدير التحرير
أ.م.د.عارف عبد فهد
كلية الآداب -المستنصرية

سكرتير التحرير
م.م. أسماء جعفر فرج
كلية الآداب -المستنصرية

الاشراف اللغوي
م.د.منار صاحب
كلية الآداب/المستنصرية

تنضيد
م.م.أثير محمد مجيد

المحاسب المالي
رنا حسين عباس

تصميم وطباعة
مكتب الأثير
للنشر والطباعة

الفلسفة

مجلة محكمة يصدرها قسم الفلسفة

رئيس التحرير
أ.د.حسن مجيد العبيدي

الهيأة العلمية الاستشارية

١- أ.د. طه عبد الرحمن /جامعة محمد الخامس /المغرب
٢- أ.د. ادونيس عكرة /مدير المركز الدولي لعلوم الانسان / لبنان
٣- أ.د. الطاهر بن قيزة /جامعة تونس الاولى /تونس
٤- أ.د. عمر بوساحة / جامعة الجزائر /الجزائر
٥- أ.د.اشرف منصور / جامعة الاسكندرية /مصر
٦- أ.د. حسون عليوي السراي/الجامعة المستنصرية /العراق
٧- أ.د. جميل خليل المعلة /جامعة الكوفة /العراق
٨_ أ.د. هبة عادل العزاوي /جامعة بغداد /العراق

الموقع الالكتروني للمجلة
Journalofphilosopy@yahoo.com
البريد الالكتروني
journalofphilosophy@yahoo.com

الترقيم الدولي:Issn (١٩٩٢-١١٣٦)
فهرست بدار الكتب والوثائق وإيداعها تحت رقم (٧٤٢)لسنة (٢٠٠٢)

الفلسفة

مجلة علمية محكمة يصدرها قسم الفلسفة

العدد
السابع عشر
آيار

المحتويات

كلمة رئيس التحرير

١- فلسفة الحرب عند ابن خلدون	أ.د. حسن مجيد العبيدي	١-١٤
٢- توماس كون فيلسوف الثورات العلمية	د. قاسم عبد عوض المحبشي	١٥-٣٦
٣- إشكالية فهم "الآخر" في بواكير ما بعد الحداثة -المقاربة الفينومينولوجية-	أ. م. د كريم حسين الجاف	٣٧-٦٤
٤-إشكالية العلاقة بين الإنسان و البيئة دارسة فلسفية- قانونية	أ.م.د. حسن حسين صديق م.د.شاخوان خدر	٦٥-٧٨
٥- الأخلاق في فلسفة طه عبد الرحمن	الدكتور علي محمد عليان عبد الرازق الخطيب	٧٩-١٠٠
٦-نظرية وحدة الوجود عند صدر الدين الشيرازي	م . د. زينا علي جاسم	١٠١-١١٨
٧-أحكام الحركة عند ابن سينا	الباحثة غنية منصور حمزة	١١٩-١٣٠
ملحق العدد		
٨- نص فلسفي معاصر جون كوركران تلازمية المنطق والأخلاق	ترجمة أ. م. د. ليث أثير يوسف	١٣١-١٤٠
قبس العدد		
٩- الذكاء الشخصي وعلاقته بالتقويم المعرفي لدى طلبة الدراسات العليا	م . د. تغريد أديب	١٤١-١٧٦

عنوان المراسلة
العراق-بغداد-الجامعة المستنصرية
كلية الاداب/قسم الفلسفة
ص.ب:١٤٠٢٢
تلفون:٤١٦٨١١٩٨
Email:
Philosophyarts@yahoo.com

PHILOSOPHY

Philosophical magazine

الغلاف الاول

دعوة للاساتذة والباحثين

تدعو مجلة الفلسفة جميع الاساتذة والباحثين الاكاديميين لنشر بحوثهم العلمية والثقافية والفكرية الفلسفية للنشر في هذه المجلة ورفدها بكل ما هو جديد من بحوثكم الاكاديمية المتميزة

مع التقدير

مدير تحرير المجلة

إشكالية العلاقة بين الإنسان و البيئة

دارسة فلسفية– قانونية

أ.م.د. حسن حسين صديق* م. د. شاخوان خدر رسول**

المقدمة: مما لاشك فيه أن البيئة تعتبر من أهم الركائز التي تؤثر على حياة الإنسان، خصوصا من الناحية الصحية و النفسية و الفكرية، وقد قيل قديما إن الإنسان ابن بيئته، ومن هذا المنطلق يجب على الفرد أن يحافظ على سلامة بيئته من التلوث، وان يقوم بتنميته حتى يكون البيئة ملائما و مناسبا للحياة والعيش، إن سلامة العيش جسديا و فكريا يتطلب الوعي و الثقافة كي يجد البيئة المناسبة لذلك العيش، وقد أشار إلى ذلك المفكرون بقولهم " إن العقل السليم في الجسم السليم"، وان سلامة الجسم تنبع من سلامة البيئة. وهناك نصوص قانونية وأخلاقية ودينية يحث الفرد على المحافظة على البيئة من تلوثها و تخريبها، لان البيئة جزء من حياة الإنسان. ويمكن القول أن البيئة بمعناه العام سواء كان البيئة الفكرية أو الأخلاقية أو الطبيعية، لها تأثير قوي في تربية و بناء الإنسان الكامل، وهذا يتطلب الوعي و العلم و الثقافة. إن هذه الدراسة تتكون من مقدمة و ثلاثة مباحث رئيسية هي:

– المبحث الأول: الإنسان و علاقته بالبيئة.

– المبحث الثاني: الإنسان و تلوث البيئة.

– المبحث الثالث– دور الثقافة و الوعي و الرقابة القانونية في سلامة البيئة.

المبحث الأول – الإنسان و علاقته بالبيئة: بداية لابد لنا أن نعرف البيئة ونوع العلاقة الذي يرتبط بها الإنسان، فنقول أن مفهوم البيئة تعني مجموعة من الظروف الطبيعية و الاجتماعية التي يعيش فيها الإنسان، هنا نجد أن لفظ البيئة يستخدم للدلالة على الظروف المحيطة المؤثرة على النمو و التنمية، كما يستخدم أيضا للتعبير عن الظروف الطبيعية مثل " الهواء و الماء و الأرض"

*** أستاذ المنطق و فلسفة العلوم المساعد /جامعة رابه رين/ كلية العلوم الإنسانية/ قسم الفلسفة**

**** مدرس قانون العقوبات و الجنايات/ جامعة رابه رين/ كلية العلوم الإنسانية/ قسم القانون.**

التي يعيش فيها الإنسان[١]. وهناك تعريفات كثيرة للبيئة إلا أن أفضل مفهوم وتعريف ينسجم مع مضمون دراستنا هو أن نقول أن البيئة هي الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء و دواء وماء ومأوى ويمارس فيه علاقته مع اقرأنه من بني البشر[٢].

ومما لاشك فيه أن هذا الحق "حق وجود بيئة سليمة للعيش" مهددة بالخطر و الزوال، وسبب ومصدر ذلك الخطر و التهديد هي الفعل الإنساني تجاه البيئة. فإذا لم يجد الإنسان الهواء النقي، والماء العذب، والتربة الصالحة للزراعة التي تخرج له الغذاء، فإن أي تجاوز على البيئة، أو استنزاف مواردها، يعدّ تهديدا وخرقا لذلك الحق الطبيعي في الحياة و السلامة، وبهذا فان وجود البيئة السليمة هي حق من الحقوق الأساسية للإنسان، باعتباره يتفرع عن الحق في الحياة الذي نصت عليه الإعلانات والمواثيق الدولية[٣]. من هنا دخلت مشكلة تلوث البيئة في المناقشات الفلسفية والأخلاقية والقانونية والسياسية وحتى الدينية، وأصبحت من أكثر الموضوعات الشائقة في العالم، ولفت أنظار المجتمع الدولي نحوها لما لها من مخاطر على حياة البشر و الكائنات الأخرى. حيث عرفت الأوساط العلمية و الفقهية هذه المشكلة وأشارت إلى خطورتها، وهذا ما حدا بالمنظمات الدولية والأمم المتحدة للتحرك للتخفيف من وطأة هذه القضية التي أصابت البيئة الأرضية، وخصوصا بعدما ترسخ أن البيئة السليمة هي التراث المشترك للإنسانية، وحق من حقوق الإنسان الأساسية وذلك في العديد من الوثائق العالمية والإقليمية، وارتبطت البيئة بالتمنية الاقتصادية والسلام العالمي وكل ذلك شكلت أساسا قانونيا دوليا لمكافحة جريمة تلوث البيئة[٤]. أما بخصوص الموقف التشريعي و القانوني من البيئة، حيث نجد أن المشرعين و القانونين حاولوا أن يضعوا تعريفا عاما للبيئة من الناحية القانونية ممثلا في القانون المصري للبيئة رقم "٤" عام ١٩٩٤ عرفت المادة الأولى في فقرتها الأول البيئة بأنها " المحيط الذي يشمل الكائنات الحية وما يحتويه من مواد وما يحيط به من هواء وماء وتربة وما يقيمه الإنسان من منشأة[٥] . وعند المشرع العراقي جاءت مفهوم البيئة في الفقرة الخامسة من المادة الثانية من قانون حماية وتحسين البيئة رقم "٢٧" لسنة ٢٠٠٩ علما أن "البيئة المحيطة يجمع العناصر الذي تعيش فيه الكائنات الحية والتأثيرات الناجمة عن نشاطات الإنسان الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية "[٦].

إن البحث عن كيفية العلاقة التي تربط الإنسان بالبيئة من الناحية الفلسفية و القانونية، لذا نطرح التساؤل التالي، كيف يجب أن يكون علاقة الإنسان بالبيئة؟، هل هناك التزامات أخلاقية وقانونية و دينية تفرض على الإنسان نوع خاص من العلاقة تربطه بالبيئة؟ هل البيئة مسخرة للإنسان يفعل به ما يشاء أم هناك قواعد و قوانين تجعل من تلك العلاقة حدودا و موانع؟. وانطلاقا من التعريف الأرسطي للإنسان القائل : " الإنسان حيوان عاقل". فالعقل كما معروف تعني الضابط والكابح يضبط به السلوك الإنساني وفقا لقوانين خاصة به، فالعقل هو الكابح لكل فعل إنساني

لاعقلاني من قبيل التدمير والتهجير والتهليك، من هنا نبين كيفية علاقة الإنسان ذلك الكائن العاقل بالبيئة و الطبيعة.

كما اشرنا إلى أن الإنسان كائن حي ذو عقل و كيان خاص ومستقل عن الطبيعة و البيئة، هذه النظرة الفلسفية ترجع إلى التقسيم الديكارتي الثنائي للإنسان، وقد أفرزت هذه النظرة الديكارتية إلى خلق أزمة خاصة بالعلاقة بين الإنسان من جهة و البيئة أو الطبيعة من جهة أخرى، وان فهم أصول هذه الأزمة يتطلب منا العودة إلى اللحظة الفلسفية التأسيسية للعصور الحديثة، أي إلى ديكارت وتقسيمه الثنائي بين " الأنا المفكر" و " المادة الممتدة"[٧]. هذا التقسيم الثنائي أنتجت ثنائيات أخرى بخصوص الحق الإنساني في امتلاك البيئة أم عدم حقه في ذلك. من هنا اتجه البعض إلى إنكار وجود حق للإنسان في البيئة على أساس انه لا يوجد حق ذاتي للإنسان في العيش في بيئة سليمة و متوازنة، فهو ليس ملازما للوضع الإنساني وذلك على أساس أن هذا الحق غير محدد المضمون وغير واضح المعالم إضافة إلى انعدام السند القانوني الذي يقرر ذلك الحق، أي لم يرد ذكره في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان[٨].

في حين نجد أن البعض الآخر يؤيد حق الإنسان في البيئة المناسبة، وما يستلزم التأكيد على ذلك هو الوضع الذي التي إليه حالة البيئة و موارد الطبيعة. إذ إن مضمون الحق في البيئة يتعلق بنوعية الحياة الصحية للإنسان، كما أن عدم وجود حق للإنسان في البيئة بشكل صريح في الإعلان أو العهد الدولي، فانه لا ينال من وجود هذا الحق ضمن إطار حق الإنسان في الحياة، لأنه في الوقت الذي صدر فيه ذلك الإعلان، لم تكن مشكلات البيئة و المخاطر تهددها قد برزت بالنحو الذي هي عليه الآن. وما يؤكد ذلك أن الأعمال القانونية الدولية الحديثة قد تلافت ذلك ونصت صراحة على حق الإنسان في البيئة السليمة[٩]. حيث كانت للفلسفة الديكارتية تأثيرا واضحا بخصوص حق الإنسان في الامتلاك والسيطرة على البيئة و الطبيعة، مما أدى إلى ذلك الانقسام بين العلماء والمشرعين والفقهاء فيما يخص وجود حق قانوني يعطي للإنسان حق السيطرة على البيئة واستغلال مواردها الطبيعية أم لا. فبعد أن قدم ديكارت ثنائيته بين " الأنا المفكر" و " المادة الممتدة"، الأنا الصاعدة والذات البارزة، نجد في مقابل ذلك " الآخر – البيئة" أو العالم أو " الطبيعة" قد هبط إلى مرتبة أدنى من الإنسان أو الذات المفكرة، وهي مرتبة امتداد جامد، على ضوئها تحولت الطبيعة إلى آلة ضخمة هائلة وتحولت أسرارها وأرواحها إلى قوانين وقوى ميكانيكية ما على " الأنا المفكرة" كذات عارفة الآن أن تتوجه إلى معرفتها و حيازتها والتصرف والتلاعب بها بما يؤدي بنا نحن البشر إلى أن نصبح " سادة و مسخرين للطبيعة". وفق التعبير الديكارتي الشهير. وأولى خطوات هذه المعرفة/ السيادة هي امتلاك المنهج الذي يضمن اليقين وأولى خطوات ذلك المنهج هي التحليل. وفي حين أن الموضوع" العالم/ الطبيعة" آلة ضخمة معقدة يمكن فهمها

بتفكيكها إلى أجزائها والبحث في كل جزء على حدة، وهذا يعني أن الكل " الطبيعة" ما هو إلا تجمع من الأجزاء المتراصفة والمرتبطة آليا، وليس كلية لها خصائصها لا يمكن اختزالها إلى خصائص أجزائها، كما أفادتنا المعرفة الايكولوجية لاحقا(١٠).

نفهم مما تقدم ومن خلال المشروع الديكارتي أن الإنسان كذات عارفة مستقلة في مقابل " العالم– الطبيعة" كموضوع، لها قوانيها الخاصة يعمل وفقا لتلك القوانين، فما على الإنسان إلا أن يكشف تلك القوانين حتى يكون سيدا على الطبيعة ويسخره لنفسه، فالسيطرة على الطبيعة وتسخيره وفقا لما يمليه رغبات الإنسان المادية و تحقيقا لتلبية حاجاته الاقتصادية و العلمية و التكنولوجية من دون منهج عقلاني صارم يحدد نوع تلك العلاقة المتبادلة بين الإنسان و البيئة، من دون ذلك، سوف تقع كوارث طبيعية وأزمات بيئية. حيث يحدث "خلل – اضطراب– دمار" في العلاقات على النطاق البيئي. ويعود منشأ هذا الخلل إلى الإنسان ذاته الذي بلغت تأثيراته وضغوطاته على النطاق الايكولوجي حد تحوله إلى قوة جيولوجية هائلة، تدفع بالكثيرين إلى الاقتناع بأن " الإنسان هو مشكلة البيئة(١١).

وانطلاقا من ذلك، بدء العلماء المختصين بحماية البيئة والمشرعين القانونين يتشككون من ذلك الإنسان الذي وصفه ديكارت، ووصفه للطبيعة بأنها " آلة" ضخمة مسخرة للإنسان. هذا التشكيك بقدرات الإنسان ورغباته المادية الجامحة، أظهرت مخاوف بخصوص التغيير البيئي، تلوث مكوناتها " الماء– الهواء– التربة– الغابات"، لان أي تجاوز على البيئة أو استنزاف مواردها الطبيعية من دون مناهج تربوية تعبوية من جهة، ووجود قوانين رادعة من جهة أخرى، يعد تهديدا أو خرقا للحق في الحياة و السلامة. وبهذا فان البيئة السليمة هي حق من الحقوق الأساسية للإنسان، باعتباره يتفرع عن الحق في الحياة الذي نصت عليه الإعلانات و المواثيق الدولية. لان البيئة يحتل أهمية بارزة في اهتمامات القانون الدولي، لأنها ترتبط بأهم حق من حقوق الإنسان، ألا وهو حق الحياة في بيئة صحية و سليمة ومناسبة للعيش.

وبناءً على ما تقدم، فإننا نرى أن تلوث البيئة هي جريمة، وتعتبر من أهم المشكلات التي تواجه الإنسان على كوكب الأرض، نظرا لنتائجه الخطيرة التي تصيب الإنسان وعلاقته بالبيئة، وهذا يتطلب ضرورة التعاون الإقليمي والعالمي، ذلك لان مكافحة هذه الجريمة في المجال القانوني والثقافي و الدولي عملية معقدة يتطلب جهود كثيرة على جميع المستويات، مما يتطلب مشاركة الدول و المنظمات والإقليمية و العالمية، عن طريق القواعد القانونية و الدينية و الاجتماعية التي تضبط سلوك الأفراد و الدول في تعاملهم مع البيئة.

المبحث الثاني: الإنسان و تلوث البيئة: تعد البيئة ومشاكل التلوث من مشكلات العصر التي دارت حوله نقاشات كثيرة لاسيما وهي تمثل عصب الحياة على كوكب الأرض، لذا أخذت الدراسات المختلفة تهتم بشأن البيئة ومدى أهميته لاستمرارية البقاء الحيوي للكائنات بصورة عامة. والشيء المدهش في كل ذلك هي أن معظم أنواع التلوث البيئي يقوم بها الإنسان، ذلك الكائن الذي يشكو من ظاهرة التلوث فمن الضروري أن نبين معنى التلوث و التلوث البيئي قبل حديثنا عن العلاقة الموجودة بين الإنسان والبيئة.

١. **التلوث (pollution):** إن معظم مصطلح التلوث يبحث حول إدخال ملوثات في البيئة" الهواء– الماء– الغذاء – التربة"، بكميات و خصائص ومدة بقاء معينة يحتمل ان تحدث ضررا بحياة الإنسان أو الحيوان أو النبات، إذ أصدرت كل من "منظمة الصحة العالمية– WHO" و منظمة الغذاء و الزراعة الدولية –FAO"، كتبا و منشورات حول تأثير بعض الملوثات الكيماوية المسرطنة على حياة البشر، وقسم منها يؤدي إلى طفرات وراثية غير مستحبة والآخر له تأثير مشوه للجنين لدى الأم الحامل[١٢].

٢. **تلوث البيئة:** هو كل تغير مباشر أو غير مباشر فيزيائي أو حراري أو بيولوجي أو أي نشاط إشعاعي لخصائص كل جزء من أجزاء البيئة بطريقة ينتج عنها مخاطر فعالة تؤثر على الصحة والأمن و الرفاهية لكل الكائنات الحية الأخرى. وفقا لهذا التعريف أن تلوث البيئة ظاهرة ناتجة إما بصورة مباشرة أو غير مباشرة من قبل جهات أخرى قد تكون أشخاصا أو مؤسسات أو دول. فالسؤال الفلسفي الذي يكمن خلف تلك الظاهرة هي، ما السبب الحقيقي لظاهرة التلوث البيئي؟.

إن معرفة السبب يكون وسيلة فعالة لمعالجتها وفقا لقاعدة " الوقاية خير من العلاج". بالإضافة إلى قول الجميع ان الإنسان هو بحد ذاته مشكلة البيئة، أي أن الإنسان هو السبب الرئيسي في حدوث ظاهرة التلوث، حيث إن التلوث الناتج عن أنشطة الإنسان من خلال حدوث تأثيرات مباشرة أو غير مباشرة تغير من المكونات الطبيعية و البيولوجية للبيئة[١٣]. نفهم من ذلك إن ظاهرة التلوث هو وضع المواد في غير أماكنها الملائمة، متمثلة في إدخال مواد أو طاقة من قبل الإنسان إلى البيئة، بحيث يترتب عليها آثار ضارة من شانها أن تهدد الصحة الإنسانية وتضر بالموارد الحية أو بالنظم البيئية، أو تنال من قيم التمتع بالبيئة أو تعوق الاستخدامات الأخرى المشروعة لها[١٤]. ويعترف الفقه الراجح بان الالتزام القانوني بحماية البيئة من التلوث فإنه لا يكون غريبا أن يشكل خرق هذا الالتزام جريمة جنائية، والجريمة البيئية قد تكون جريمة عادية أو وطنية أن ارتكابها احد الأشخاص، وتعدى على الأحكام التي تضمن الحفاظ على التوازن البيئي، والجريمة البيئية قد تكون جريمة دولية تسأل عنها الدولة إذا نسب النشاط الضار بالبيئة إليها، أو

تقوم بأنشطة صناعية داخل إقليمها يترتب عليها انتقال ملوثات إلى إقليم دولة أخرى ويسبب أضرار بيئية وقد تتخذ الجريمة البيئية الدولية شكلا خطيرا عندما تتعمد الدولة ممارسة أنشطة يترتب عليها مباشرة تدمير البيئة و تهديد نظمها الايكولوجية المختلفة(١٥).

تبين مما اشرنا إليه أن التلوث ظاهرة ذات أنواع ناتج عن النشاط الإنساني يرجع في اغلبها إلى غياب الوعي و الشعور بالمسؤولية وقلة المعرفة بمخاطر أنشطته، من هنا ذهب الفيلسوف الأمريكي" رالف ايمرسون" إلى أن التصدع القائم في عالمنا المعاصر بين العلوم الطبيعية من جهة وبين الإنسانيات، تعد سببا لظهور مشكلة "التلوث البيئي" وذلك من خلال تعامل الإنسان اللاواعي للطبيعة. وعبر عن ذلك خير تعبير الفيلسوف الاسباني " جاسيت اورتيغا" بقوله :" إن العالم"الإنسان" الذي تلقى تدريبا متوسط، جاهل بكل ما لا يدخل في نطاق تخصصه و معارفه. ولابد من أن نقول إنه " جهول متعلم"، وهذا أمر خطير جداً إذ أنه يعني إن جهله لا يتبدى على نمط الرجل الجاهل ولكنه يظهر بكل تبجح الرجل المتعلم(١٦).

هنا نلاحظ أن ما عبر عنه " اورتيغا" خاص بالمجال العلمي والبحث التجريبي – الاختباري، والعالم في ذلك المجال هو في نهاية الأمر"إنسان"، فان لم يكن واعيا بأهمية دور البيئة في حياة البشر، وان لم يكن واعيا بأننا جزء من البيئة، فانه سوف يتعامل معه كأنه مادة مستقلة عنه، وما على الإنسان إلا أن يسيطر عليه ويسخره لنفسه من اجل تحقيق رفاهيته ورغباته وميوله المادية. هذا الفهم و التصور كفيل في نهاية الأمر أن يؤدي إلى دمار وتخريب واضطراب البيئة إن لم تكن هناك قوانين رادعة وإرشادات تربوية و الحس الأخلاقي تردع هكذا التعامل العبثي مع البيئة، فإنها تؤدي إلى فقدان التوازن البيئي وإلحاق الأذى بكل الكائنات ومنها الإنسان نفسه.

إنطلاقا من هذا التصور شعر حماة البيئة بحجم الكارثة والأخطار المهددة للبيئة من جراء اكتشافات الإنسان للأدوات التي تحقق له رفاهيته، واعتبرها أدوات تخريبية للبيئة لان الإنسان في تصوره وهو يفعل ذلك، يعتقد انه يفعل الخير لان غايته تحقيق الرفاهية لذاته من هنا تعالى الأصوات ان البيئة السليمة هي من ضروريات الحياة بل وحق من حقوق الإنسان. حيث إن المخاطر الذي أصابت البيئة من جراء سوء استغلال الموارد الطبيعية أصبحت عاملا مهدداً للأمن العالمي، حيث اتضح إن الإجهاد البيئي الناجم عن التصحر بات يسبب نزوحاً جماعياً، ويمكن أن يخلق توتراً وينذر بصراعات دولية(١٧).

إن السؤال المهم الذي يطرح ذاته هي، كيف يستطيع الإنسان أن يحافظ على سلامة البيئة من تلوثها؟ هل الإنسان هو الكائن المدمر و الوحشي قياساً إلى ظاهرة التلوث البيئي؟ أم أن الإنسان هو ذلك الكائن الخير و الحكيم الذي بإمكانه أن يحافظ على سلامة البيئة وينتفع منه؟.

نرى أن السوفسطائية وعلى رأسهم " بروتوغوراس" يقول :" الإنسان هو مقياس الأشياء جميعاً" خيرها و شرها. فالإنسان الفاضل هو الرجل الناجح المتلائم اجتماعياً و المتماسك نفسياً الكاسب حلالا من العمل الشريف النافع المثمر الذي لا يكون إلا بالرأي الصائب و النظر الصحيح بناءاً على العلم الصحيح[١٨]. وفقاً للفهم السفسطائي للإنسان، نقول أن العمل العلمي وان كان غايته تقديم الأفضل للإنسانية نحو الرقي والتطور، إن لم يكن هذا العمل مبني على أخلاقيات الحفاظ على حياة الآخرين من الكائنات الحية و الموارد الطبيعية في البيئة، إن لم تكن مبنية على الرأي الصحيح و الفكر الصائب، سوف يكون عمله دماراً للبيئة والطبيعة، وقد الى ذلك مؤلف كتاب " الربيع الصامت" " راشل كارسون" عام ١٩٦٢، والذي اعتبرت محفزاً للحركة البيئية في أمريكا. حيث أكدت "كارسون" بان الاستخدام الواسع لمبيد "DPT" قتل ملايين العصافير المحبوبة بأضعاف بيوضها، واستحثت مواطنيها للتفحص النقدي لمعاييرهم المسلم بها تجاه الطبيعة الحية[١٩]. أي أن الفكر الأوروبي لا يزال أسيرا لمسلمات كل من " ديكارت و بيكون" المعروفين على نطاق الفلسفة بأنهم جعلوا من الطبيعة موضوعاً مستقلاً عن الذات العارفة، مما دفع الفيلسوف فرنسيس بيكون إلى رفع شعاره " المعرفة هي السيطرة" أي اعرف الطبيعة تسيطر عليها، ومن ثم تسخره لخدمتك، وقول ديكارت " اجعل من الطبيعة عبدا"، فإذا كان فهم الفلاسفة هكذا بخصوص البيئة، فكيف يكون حال العامة من البشر تجاه البيئة؟. من هنا بادر الفلاسفة وشعوراً بالمسؤولية إلى الفحص النقدي لفكرة أن الطبيعة تمتلك قيمة أصلية، مما يفرض على الإنسان واجبات أخلاقية حيال الحيوانات و النباتات و المنظومات البيئية.

إذن الإنسان ليس ذلك الكائن الخير و الفاضل الذي تحث عنه سقراط بقوله :" تأمل الخير في نفسك تجده"، ولا هو ذلك الكائن العاقل و الحكيم مثلما وصفه " أرسطو" بقوله " الإنسان حيوان عاقل". فصورة ذلك الإنسان المثالي الخير الفاضل العاقل الحكيم لا وجود له في الواقع، وإنما الإنسان الحقيقي هو ذلك الكائن الموجود بخيره وشره، بعجزه و بجبره، فبقدر ما هو قادر على صنع المعجزات وتحقيق التقدم، بقدر ما هو قادر على ارتكاب اكبر المجازر والحماقات في حق أخيه الإنسان وبحق البيئة إذا ما اختلف عنه في العقيدة أو المذهب[٢٠].هذا الإنسان المزدوج أو الثنائي بين الخير والشر، هو الذي بقادر على أن يحب و يحترم البيئة ويحافظ على سلامته، وهو بقادر أيضا على تدميره و تخريبه وتلويثه للبيئة.

في ضوء ما تقدم، فان التلوث البيئي يهدد الحياة الإنسانية وحياة سائر الكائنات الأخرى على سطح الأرض، وتفاقمه يؤدي إلى زيادة التدهور البيئي، وكان وسيظل المشكلة البيئية الأكثر خطورة، حتى وصل إلى الدرجة الطغيان على كل القضايا البيئية، وهو الأمر الذي دعا كثير من التشريعات إلى تخصيصها جانباً كبيراً من قواعدها وأحكامها لتنظيم الأنشطة الإنسانية التي قد ينجم

عنه إضرارا ملوثة للبيئة[٢١].من هنا وضع المشرعون وحماة البيئة قوانين خاصة تعاقب كل من يساهم في تلوث البيئة، باعتبار البيئة ملكاً للجميع، ومن حق الجميع أن يملك بيئة سليمة للعيش. وتعد البيئة السليمة تراثاً مشتركاً للإنسانية، وحق من حقوق الإنسان الأساسية، لذا جاءت نصوص خاصة تؤكد على عقوبة من يرتكب تلوث البيئة باعتباره جريمة لا تغتفر.

المبحث الثالث: دور الثقافة و الوعي و الرقابة القانونية في سلامة البيئة: كما بينا سابقاً، ان العلماء متفقون على أن الإنسان هو السبب الرئيسي في تلوث البيئة، سواء كان ذلك تحدث وفقا لوعي أو دون وعي من الإنسان. فان الكارثة اكبر من أن تتم ذلك تحت غطاء قانوني كما في قطع الأشجار من قبل التجار، فلاحظ الكثير من العلماء ضرورة أن يكون هناك دوراً يقوم بها الثقافة البيئية خاصة بالحفاظ على سلامة و حيوية البيئة من الدمار والتخريب و التلوث. وتأكيدهم ضرورة رفع مستوى الوعي الثقافي الخاص بأهمية البيئة لحياة الإنسان، وعلى تسليح الإنسان لمجابهة الكوارث التي يتعرض لها كوكب الأرض وهي بفعل الفعل الإنسان في أكثرها، منها التطور الهائل في المجال الصناعي و الثورات العلمية الأخرى. من هنا لاحظوا أن للثقافة وخصوصاً " الثقافة العلمية" أهمية و دور بارز في القضاء على كثير من مشكلات الإنسان في المجالات التطبيقية " الحياتية و السلوكية" بدءاً من كيفية المحافظة على أنفسنا من مخاطر الكوارث الطبيعية والأوبئة والأمراض الفتاكة، ويتم ذلك وفق برنامج تثقيفي خاص وتربوي على كافة الأصعدة والمجالات.

إن الثقافة المعاصرة يجب أن ترتقي كي يعالج هذا المد التدميري الهائل الذي يطال البيئة على نحو غير مسبوق في التاريخ، لذلك وفي مواجهة الضرر العظيم بالبيئة، نطمح أن نجعل نظافة البيئة و ترشيد استهلاكنا لمواردها المحدودة ثقافة عامة و متصلة بين الأجيال، بحيث نبدأ من تقويم أنفسنا، من خلال الممارسات الصديقة للبيئة، كتوفير الطاقة في بيوتنا و مدارسنا و أماكن عملنا والامتناع عن إيذاء الطبيعة و حماية الطبيعة بنظامها البيئي المتكامل، ومن ثم ننطلق نحو نشر الثقافة البيئية العامة بين الناس. فإن كان للثقافة ذلك الدور الفاعل للقضاء على المشكلات الخارجة عن إرادة الإنسان، الم يكن من الأولى أن يكون لنفس الثقافة دور في مجال التوعية البشرية؟ . وفقاً للرأي القائل " إن السبب الرئيسي في خلق مشكلات بيئية مثل الدمار والتخريب هو الإنسان ذاته. أي إن الإنسان هو الفاعل و الناشط في دمار و تخريب البيئة وفي المقابل نجد أن الفلاسفة منذ أرسطو إلى راسل أكدوا على أن الإنسان كائن ذوو عقل وإرادة تمييزه عن باقي الكائنات الأخرى، فلابد من تثقيفه وأنسنته للرقي بمجتمعه النامي[٢٢].

إن السبب الرئيسي وراء الفوضى والاضطراب البيئي هو الإنسان، لا نقوله جزافاً، بل هناك أدلة وشواهد تؤكد ذلك فمثلاً، زيادة السكان ونموها المفرط في الدول المتقدمة أدت إلى زيادة استهلاك موارد الطبيعة، ولان تأثير إنسان ما على الأرض ليس دالة بسيطة، إنسان واحد وتأثير واحد، فالبشر الأغنياء الذين يستهلكون وحدات من مورد بعينه أكثر بكثير مما يستهلكه الفقراء، لهم تأثير كبيراً بكثير. وبالإضافة إلى ذلك، فحيثما كانت التقنية تساعد على الاستهلاك، تضيف تلك التقنية تلوثها البيئي الخاص كل وحدة تستهلك من الموارد على سبيل المثال، يستهلك الأمريكي ثلاثة أضعاف كمية الخشب التي يستهلكها الهندي النموذجي، لمجرد استهلاك الكراسي، والمناضد، والبيوت، ولب الورق. ولكن حتى لكل وحدة تستخدم من الخشب، يستهلك الأمريكي أكثر من الهندي، لان قطع الشجر بفأس بسيط لن ينتج أي تلوث أو تدمير للتربة، بينما اجتثاث شجرة بمنشار كهربائي يسبب أنواعا عديدة من التلوث، كما أن سحبها خارج الغابة بواسطة الجرافات يسبب قدراً هائلاً من الضرر للتربة[٢٣].

من هنا أحس المسؤولون عن حماية البيئة لوجود ثقافة بيئية خاصة بالحفاظ على البيئة من فناءها، حيث ساهمت المؤتمرات والندوات في بلورة مفاهيم خاصة بالثقافة البيئية وفي صياغة التوصيات والمقترحات لنشاطات المستقبل، ومن هذه المؤتمرات والندوات، الاجتماعات الإقليمية المنعقدة في الفترة مابين ١٩٧٦-١٩٧٧ في أفريقيا و البلاد العربية وأوروبا وأمريكا اللاتينية، حيث إن تعليم الجماهير بشأن حماية البيئة و تعزيزها أصبحت هدفاً أساسيا للإنسانية، ولان الثقافة تؤدي دوراً هاماً في إيقاظ الضمير حول البيئة. ولمواجهة هذا التدهور البيئي في قطر، صدر قانون رقم "٤" لسنة ١٩٨١، بهدف رفع مستوى الوعي الجماهيري بالظروف البيئية، حيث نصت المادة الخامسة من القانون على إدخال التثقيف البيئي في البرامج التعليمية والإعلامية، وضع خطط التوعية للمواطنين وحثهم على المساهمة في حماية البيئة من التلوث[٢٤].

من هنا نطرح سؤالاً كيف يمكن لنا أن نجعل من الإنسان كائناً واعياً بأهمية وقيمة البيئة بالنسبة لتقدمه و تطوره؟ هنا يعتقد الباحثان أن أفضل الطرق والوسائل لجعل الإنسان كائناً واعياً محباً للبيئة باعتباره جزءاً مهماً من أجزاء مسيرة التطور البيولوجي للإنسان من جهة والكائنات الأخرى، ومن جهة أخرى هي " التربية و التعليم" والمسمى ب" الثقافة العلمية" في عصرنا وان بناء مجتمع للمعرفة ذات ثقافة علمية يتطلب الأخذ بأربعة مبادئ رئيسية بنظر الاعتبار وهي:-

١- المساواة في أحقية الحصول على التعليم و التثقيف.

٢- حرية التفكير و التعبير والإبداع.

٣- وجود قطاع قومي ووطني للمعلومات.

٤- المحافظة على التعدد الثقافي واللغوي وتنميتها[٢٥].

أي أن المعرفة تعد قيمة مضافة للفرد و المجتمع، وان هذه القيمة هي المسؤولة عن تحسين نوع الحياة والعيش في تقدم مستمر وإيقاظ الوعي والوجدان الإنساني بأهمية البيئة والطبيعة و المحافظة على ديمومتها و حيويتها هي الكفيلة لذلك التحسين و التقدم في الحياة. وينبغي أن تقوم التربية البيئية على الاعتقاد بان كوكب الأرض يشكل منظومة بيئية متكاملة مترابطة و متداخلة بيئياً، على نحو يجعل كل عنصر من عناصر هذه المنظومة على القدر نفسه من الأهمية، فلا يجوز الاعتقاد إن البشر أهم من العناصر الأخرى، ولا يجوز تأسيس مركزية ايكولوجية للطبيعة استناداً إلى أخلاق ترتكز على الشعور بالشفقة نحو الطبيعة، بل ينبغي تجاوز ذلك إلى أخلاق أكثر أو اغلب تطوراً بحيث تشتمل أيضا على مفهوم الحفاظ على الموارد الطبيعية، بوصفه حالة من التناغم بين الحاجات البشرية و متطلبات بقاء الكرة الأرضية كمنظومة متوازنة و ديمومتها غاية في الأهمية.

النتائج: توصلنا من خلال دراستنا لموضوع البيئة وتلوثها وعلاقة الإنسان بذلك إلى عدة نتائج هي:

١. أن البيئة السليمة هي التراث المشترك للإنسانية، وحق من حقوق الإنسان الأساسية يستوجب المحافظة عليه.

٢. ضرورة التعاون التقليمي و العالمي على محافظة البيئة من التلوث، نظرا لنتائجه الخطيرة التي تصيب الحياة البشرية.

٣. تعد البيئة و مشاكل التلوث من مشكلات العصر التي دارت حوله نقاشات كثيرة لاسيما وهي تمثل عصب الحياة على كوكب الأرض.

٤. إن التلوث ظاهرة ذات أنواع ناتج عن النشاط الإنساني يرجع في اغلبها إلى غياب الوعي و الشعور بالمسؤولية وقلة المعرفة بمخاطره.

٥. الإنسان هو السبب الرئيسي في تلوث البيئة، سواء كان ذلك تحدث وفقا لوعي أو دون وعي منه ، فان الكارثة اكبر من أن تتم ذلك تحت غطاء قانوني كما هي في قطع الأشجار من قبل التجار.

٦. ضرورة ان يكون هناك دور حقيقي و جدي للمؤسسات التربوية و الثقافية الخاصة بالحفاظ على البيئة من اجل سلامة حياة الإنسان و حفاظها من الدمار و التخريب.

ملخص البحث

تعد موضوع العلاقة بين الإنسان و البيئة من المشكلات الرئيسية في الوقت الراهن، والذي تعاني منه العالم بصورة عامة، ونظراً لأهمية البيئة في حياة الإنسان باعتباره المكان و المصدر لحياته و استمراريته في الوجود . إلا أن ما نراه في الواقع فهي عكس ذلك، حيث أن علاقة الإنسان بالبيئة والطبيعة مبنية على أساس مصلحة ذات بعد واحد إلا وهي " مصلحة الإنسان الاقتصادية فقط"، كما أنها مبنية على أسس فلسفية خاطئة منها أن الطبيعة وجدت لخدمة الإنسان وعلى الإنسان تسخيره لخدمته، هذه القاعدة الفلسفة ترجع إلى أيام " فرانسيس بيكون" الذي قال أن المعرفة هي السيطرة " اعرف الطبيعة تسيطر عليها". وقد عدت هذه العلاقة الأحادية خطراً كبيراً على سلامة وبقاء البيئة، ويرى الأكثرية من العلماء و الفلاسفة و المشرعين أن السبب الرئيسي في حدوث الدمار و التخريب و الاضطراب وفقدان التوازن البيئي هو " الإنسان" من هنا ظهرت فلسفات خاصة بالبيئة وصدرت قوانين خاصة من لجنة الأمم المتحدة و المنظمات الدولية والإقليمية الخاصة بالمحافظة على سلامة البيئة من ظاهرة الدمار و التخريب، إذ أكدوا على ضرورة وضع قيود تحد من علاقة الإنسان بالبيئة من اجل المحافظة على توازن و انسجام البيئة حتى تبقى مصدراً صحياً و سليماً للحياة.

Abstract

The subject of relationship between human being and environment the most problem that the world suffering about this problems commonalty, blond to the important to the environment in human being live considering the place and resource of human live in the existence. But that we see it now is the opposite. Now relation between human being and environment built of fundamental benefit that has one dimension that " benefit economy of human being" . And it also built on basis wrong philosophical things , that the nature is found to service human being and human being use it as he want it. This philosophical basis return to " Francis Bacon" that he said the knowledge is control" know the nature and you can control it" . About these special philosophies appears philosophies belong environment and certifier special laws from union states , international organization to conservative environment from destruction phenomenon.

الهوامش

- رنــج رســول، المســؤولية المدنيــة عــن التلــوث البيئــي، دار الجامعــة، الإســكندرية، ٢٠١٦،ص،١٦.
- حسين محمد السود، الإنسان و البيئة، دار الحامد، عمان،٢٠١٢،ص٤.
- احمد عبد الكريم، سلامة، قانون حماية البيئة، مكتب ملك فهد الوطنية–السعودية، ط١، ١٩٩٧، ص١٣
- صلاح عبد الرحمن الحديثي، مدخل لدراسة البيئة و علاقتها بحقوق الإنسان والأمن الدولي، مجلة دراسات قانونية، العدد"٣" بيت الحكمة، بغداد،٢٠٠٠.
- ره نج رسول،المسؤولية المدنية عن التلوث، مصدر سابق، ص ٢٠.
- نفس المصدر، ص ٢١.
- مايكل زيمرمان، الفلسفة البيئية، ت: معين رومية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٦، ص٩.
- احمد عبد الكريم سلامة، قانون حماية البيئة، مصدر سابق، ص٦
- نفس المصدر، ص ٩٢–٩٤.
- مايكل زيمرمان، الفلسفة البيئية، مصدر سابق، ص١٠
- نفس المصدر، ص ٨.
- هيكل رياض رأفت،الانسان والتلوث البيئي،الموسوعة الثقافية"٣٣" دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد،٢٠٠٦ ، ص٥–٦.
- حسين محمد السود،الإنسان والبيئة، مصدر سابق، ص٤١.
- عارف صالح مخلف،الحماية الإدارية للبيئة، دار البازوري، عمان، ٢٠٠٩،ص٤٩–٥٠.
- احمد عبد الكريم سلامة، قانون حماية البيئة، مصدر سابق، ص٢٠–٢١.
- فليب فرانك، فلسفة العلم، ترجمة، علي علي ناصف،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٣، ص١٢.

- صلاح عبد الرحمن الحديثي،مدخل لدراسة البيئة وعلاقتها بحقوق الإنسان والأمن الدولي، مجلة دراسات قانونية، العدد"٣" بيت الحكمة، بغداد،٢٠٠٠، ص٤٥.
- مدني صالح، مقالات في الدرس الفلسفي، جمعه واعده وقدم له، د. محمد فاضل عباس، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١، ٢٠١٦، ص١٠٣.
- مايكل زيمرمان، الفلسفة البيئية، مصدر سابق، ص١٧.
- عامر عبد زيد الوائلي، تجليات العقلانية "الدين والأخلاق والتربية"، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١، ٢٠١٦، ص٢١٩.
- عادل ماهر الالفى، الحماية الجنائية للبيئة، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠٠٩،ص١٣٨.
- عامر عبد زيد الوائلي، تجليات العقلانية" الدين والأخلاق و التربية"،مصدر سابق، ص٢١١.
- ليزا.هـ. نيوتن، نحو شركات خضراء،ت: ايهاب عبد الرحيم محمد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٦، ص١٢٩-١٣٠.
- حسن إبراهيم المهندي، القضايا البيئية في الصحف القطرية، مجلة العلوم الإنسانية، العدد"١٣" تصدر عن كلية الآداب جامعة،٢٠٠٦،ص١٥٢.
- عامر عبد زيد الوائلي، تجليات العقلانية" الدين والأخلاق والتربية"، مصدرسابق،ص١١١.

قائمة المصادر:

١. هيكل رياض رأفت، الإنسان و التلوث البيئي، الموسوعة الثقافية"٣٣" دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،٢٠٠٦.

٢. حسين محمد السود، الإنسان و البيئة، دار الحامد، عمان،٢٠١٢.

٣. عارف صالح مخلف، الحماية الإدارية للبيئة، دار البازوري، عمان، ٢٠٠٩.

٤. احمد عبد الكريم، سلامة، قانون حماية البيئة، مكتب ملك فهد الوطنية-السعودية، ط١، ١٩٩٧.

٥. حسن إبراهيم المهندي، القضايا البيئية في الصحف القطرية، مجلة العلوم الإنسانية، العدد"١٣" تصدر عن كلية الآداب جامعة،٢٠٠٦.

٦. فليب فرانك، فلسفة العلم، ترجمة، علي علي ناصف،المؤسسة العربية للدراسات و النشر ،بيروت،ط١، ١٩٨٣.

٧. صلاح عبد الرحمن الحديثي، مدخل لدراسة البيئة و علاقتها بحقوق الإنسان والامن الدولي، مجلة دراسات قانونية، العدد"٣" بيت الحكمة، بغداد،٢٠٠٠.

٨. مدني صالح، مقالات في الدرس الفلسفي،جمعه واعده وقدم له، د. محمد فاضل عباس، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر ،ط١، ٢٠١٦.

٩. عامر عبد زيد الوائلي، تجليات العقلانية"الدين والأخلاق و التربية"، ابن النديم للنشر و التوزيع، الجزائر ،ط١، ٢٠١٦.

١٠. عادل ماهر الالفى، الحماية الجنائية للبيئة، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠٠٩.

١١. مايكل زيمرمان، الفلسفية البيئية، ترجمة، معين رومية، ج١، سلسلة عالم المعرفة، الكويت،٢٠٠٦.

١٢. رنج رسول، المسؤولية المدنية عن التلوث البيئي، دار الجامعة، الإسكندرية، ٢٠١٦.

١٣. ليزا. هـ. نيوتن، نحو شركات خضراء، ت: إيهاب عبد الرحيم محمد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٦.